مجلة العلوم الإنسانية ——— عدد 32 - ديسمبر 2009، المجلد أ، ص.ص.155- 170

الرحلة إلى "إرم ذات العمـــاد" (المدينة المحجوبة) بين جبران ونسيب عريضة

ملخص

هي الرحلة مع جبران ونسيب عريضة، الرحلة والطريق إلى" إرم ذات العماد " وإلى الحق والصدق، من خلال عملين أدبيين، أحدهما لجبران بعنوان " إرم ذات العماد" والثاني لنسيب عريضة، وهو عبارة عن قصيدة طويلة (ملحمة شعرية تتكون من مائتين وستة وثلاثين بيتا) وهي بعنوان " على طريق إرم" ..

لقد تحولت" إرم ذات العماد "في مخيال الأدباء والصوفية إلى رمز للبحث والوصول إلى العالم المحجوب والمجهول، عالم السماء وعالم المعرفة والحق والكمال. إنها رمز الرحلة الشاقة، رحلة المتصوفة العارفين، إلى الله والملكوت .. هذا البحث هو قراءة وعرض لعملين رائعين روعة الأدب والفن. وهو أيضا وقفة تأمل لبعض ما أبدعته العبقرية العربية في أدب الرحلة : الآخرية .

د. عبد السلام صحراوي

كلية الآداب واللغات
جامعة منتوري قسنطينة
الجزائر

Résumé

Cet article se propose de présenter et d'analyser deux œuvres littéraires merveilleuses. L'une, intitulée *Irem Dat Elimad*, est de Jabran Khalil Jabran ; l'autre, *Sur le chemin d'Irem*, est de Nassib Aarida. Irem cette ville citée par le Coran et réputée habitée par des secrets et des mystères, est devenue, dans l'imagination des écrivains et des soufis, un signe de la recherche permanente du savoir et d'un attachement spirituel à la connaissance divine.

إرم ذات العماد : المدينة المحجوبة.

يبدو أنّ "إرم" كانت عاصمة قبيلة "عاد" إلى الجنوب من الجزيرة العربية، وكانت مشهورة بأعمدتها المرتفعة. يقال إنّ شداد بن عاد بعد أن ملك جميع الدنيا، وسمع بالجنة أمر ألف أمير من جبابرة قوم عاد أن يبنوا له مدينة تشبهها في جمالها وفخامتها، وأن تكون مدينة من ذهب وفضة وجواهر. فخرج أولئك الأمراء، ومع كلّ أمير ألف رجل من خدمه وحشمه. وساروا حتى وجدوا أرضا واسعة، طيبة الهواء، وأعجبتهم تلك الأرض، فأمروا المهندسين والبنائين بتخطيط مدينة عجيبة. وبنيت مدينة "إرم" فكانت فتنة باهرة للعيون ...(1)

© جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر 2009.

وقد ورد في معجم ألفاظ القرآن الكريم في كلمة إِرَمَ:<< قيل : اسم بلدة عاد، كانت أبنيتهم عالية، أو من الخيام ذات العماد >>. (2) ومنهم من قال هي أرض كانت واندرست، فهي لا تعرف الآن، ولا يوجد لها أثر. ومنهم من قال هي الإسكندرية، وأكثرهم يقولون هي دمشق، وفي ذلك يورد ياقوت الحموي هذا البيت لـ شبيب بن يزيد بن النعمان بن بشير الذي يقول:

لولا التي عَلِقَتْني من علائِقَهَا لم تُمْسِ لِي إِرَمٌ دارًا ولا وَطَنَــا

قالوا : أراد دمشق .(3) كما يورد صاحب معجم البلدان مقطوعة شعرية صغيرة للبحتري تتضمن ذكر الشام / دمشق وقصورها والسفر إليها وطلبها مع ذكرها باسم إرم ذات العماد وهو ما يمكن أن يؤكد عنده أن أكثرهم يقولون إنّ إرم هي دمشق. وتلك الأبيات للبحتري هي قوله :

إليْكِ رحلْنَا العيسَ من أرضِ بابــلٍ نجوزُ بهــا سَمْتَ الدَّبُورِ و نَهْتَدِي
فَكــمْ جَزَعَتْ من وَهدَةٍ بعدَ وَهدَةٍ وَ كمْ قَطَعَتْ من فَدْفَدٍ بعدَ فَــدْفدِ
طلبنَكِ من أمِّ العراقِ نَــوازعــًا بنَــا، و قصورُ الشامِ منكِ بمرصدِ
إلى إِرَمٍ ذاتِ العمَادِ، و إنّهـــا لَمَوْضِعُ قَصْدِي، مـوجِفًا، وتَعمُّدِي (4)

ويعتقد أغلبُ الباحثين بما ورد في بعض الكتب من أخبار غريبة عن إرم، يذهب أكثرهم إلى الأخذ بقصة شداد بن عاد الذي كان ملكا جباراً وهو الذي أمر ببناء مدينة إرم.

كما يورد ياقوت الحموي في معجم البلدان ما رواه آخرون على حدّ تعبيره من أنّ إرم ذات العمادِ، التي ورد ذكرها في القرآن، والتي لم يخلق مثلها في البلاد كانت باليمن بين حضرموت وصنعاء وهما مدينتان معروفتان اليوم. وأنّ من بناها هو شداد بن عاد الذي كان ملكا جبارا ملك الدنيا. وأنّ هذا الملك الجبّار " لمّا سمع بالجنة وما أعدّ الله فيها لأوليائه من قصور الذهب والفضة، والمساكن التي تجري من تحتها الأنهار، والغرف التي من فوقها غرف، قال لكبرائه: إنّي متخذٌ في الأرض مدينة على صفة الجنّة، فوكل بذلك مائة رجلٍ من وكلائه... تحت يدِ كلّ رجل منهم ألفٌ من الأعوان. وأمرهم أن يطلبوا فضاء فلاةً من أرض اليمن ويختاروا أطيبها تربة، ومكّنهم من الأموال، ومثّلَ لهم كيف يعملون ....>> (5) فأمروا بدورهم المهندسين والبنائين ، فخطّوا مدينة مربعة الجوانب.. << وحفروا الأساس إلى الماء وبنوا الجدران بحجارة الجزع اليماني حتى ظهر على وجه الأرض ثم أحاطوا به سورا ارتفاعه خمسمائة ذراع وغشّوه بصفائح الفضّة المموّهة بالذهب فلا يكاد يدركه البصر إذا أشرقت الشمس >>.(6) ويروى أنّ شداد كان قد بعث إلى جميع معادن الدنيا فاستخرج منها الذهب واتخذه لبِنًا. كما أمر باستخراج الكنوز المدفونة،<< وبنى داخل المدينة مائة ألف قصر بعدد رؤساء مملكته كلّ قصر على أعمدة من أنواع الزبرجد واليواقيت معقدة بالذهب، طول كل عمود مائة ذراع. وأجرى في وسطها أنهارا وعمل منها جداول لتلك القصور والمنازل وجعل حصاها من الذهب والجواهر واليواقيت، وحلّى

قصورها بصفائح الذهب والفضة وجعل على حافات الأنهار أنواع الأشجار ... وطلى حيطانها بالمسك والعنبر. وجعل فيها له جنة مزخرفة...>> (7) وقد استغرق بناؤها خمسمائة عام ..

ثمّ بعد ذلك أراد الله أن يتّخذ الحجة على هذا الملك المتجبّر، وعلى جنوده، بالرسالة والدعاء إلى التوبة، فأرسل إليه < هودا > عليه السلام، وكان من صميم قومه وأشرافهم. وجاءه هود عليه السلام* فدعاه إلى الله والإقرار بالربوبية والإيمان بالله عزَّ وجلّ وبوحدانيته. غير أنّ شداد بن عاد تمادى في الكفر والطغيان، بعد أن تمّ لملكه سبع مائة عام، راح يتمادى في غيّه وتجبّره ويعرض عما دعاه إليه هود عليه السلام << فأنذره هود بالعذاب، وحذّره، وخوّفه زوال ملكه فلم يرتدع عما كان عليه، ولم يجب هودا إلى ما دعاه إليه. ووافاه الموكلون ببناء المدينة، وأخبروه بالفراغ منها >>. (8) وعزم شداد بن عاد حين علم بالفراغ من بناء المدينة على الخروج إليها في جنوده، فخرج في ثلاثمائة ألف رجل من حرسه وجنده ومقرّبيه وأهله وحاشيته ومواليه متجها إليها. في حين خلّف على ملكه في (حضرموت) وسائر أرض العرب ابنه مُرْثَد بن شداد الذي كان فيما يقال من المؤمنين بهود عليه السلام وبرسالته إلى قومه. ولمّا صار شداد ومن معه على مقربة من مدينة إرم وانتهى إلى مرحلة منها << جاءت صيحة من السماء، فمات هو وأصحابه أجمعون حتى لم يبق منهم مُخبرٌ، ومات جميع من كان بالمدينة من الفَعَلة، والصنّاع... وبقيت خلاءً، لا أنيسَ بها>>. (9) وفي ذلك يقول الله عزّ وجلّ: " ألمْ ترَ كيف فعل ربّك بعادٍ، إرمَ ذاتِ العمادِ، التي لمْ يُخْلقْ مِثْلُها في البلادِ، وَثَمودُ الذين جابوا الصخرَ بالواد، وفرعونَ ذي الأوتادِ، الذينَ طغَوا في البلادِ، فأكثروا فيها الفسادَ، فَصبَّ عليهم ربُّكَ سَوطَ عذَابٍ، إنَّ ربَّكَ لَبالمرصادِ ". (10)

كما يذكر الله سبحانه وتعالى قوم عاد وما حلّ بهم في سورة (الحاقة) فيقول فيهم جلّت قدرته: " فأمّا ثمودُ فأُهلِكُوا بالطاغيةِ، وَأَمَّا عادٌ فَأُهلِكُوا بريحٍ صَرْصَر عاتيَةٍ، سخّرَها عليهم سَبْعَ لَيالٍ وثَمانيَةَ أيامٍ حُسُومًا فترى القَوْمَ فيهَا صَرْعَى كأَنّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ " (11) إذن " وأما عادٌ فأُهلكُوا بريحٍ صَرْصَرٍ عاتيةٍ ". يقول الطبري في تفسيره: << وأما عاد قوم هود فأهلكهم الله بريحٍ صرصرٍ، وهي الشديدة العصوف مع شدة بردها ...>> (12). ويتابع في موضع آخر قائلاً:<< ...بريحٍ مهلكةٍ باردةٍ، عتتْ عليْهم بغيرِ رحمةٍ ولا بركةٍ، دائمة لا تفتُر.) (13)

وأمّا إرم ـ المدينة، فقد ساخت في الأرض وغارت واختفت وما تزال قصورها وحدائقها مختفية في مكان ما من الجزيرة العربية . وقد خرج في طلبها أناس كثيرون آملين أن يهتدوا إليها وينعموا بمشاهدتها واكتشاف كنوزها، ولكنهم أخفقوا جميعا. ويقال أنّ الإنسان الوحيد الذي وصلها يوما بالمصادفة هو عبد الله بن قُلابَة أحد صحابة النبي (ص)، وكان ذلك في عهد معاوية. إذ تذكر بعض المراجع أنّ عبد الله بن قِلابة يذكر في قصة طويلة مفادها << أنّه خرج من صنعاء في بغاء إبلٍ لهُ ضلّتْ فأفضى به السير إلى مدينة صفتها كما ذكرنا، وأخذ منها شيئا من بنادق المسك، والكافور، وشيئا من الياقوت. وقصد إلى معاوية بالشام، وأخبره بذلك وأراه الجواهر والبنادق >>.

(14) ويذكر صاحب معجم البلدان أنّ معاوية بن أبي سفيان عندما أخبره ابن قِلابة بأمر تلك المدينة العجيبة وأتى له ببعض كنوزها لم يكن أحد يعرف حقيقة هذه المدينة . وأرسل معاوية إلى كعب الأحبار وسأله عنها فقال :<< هذه إرمُ ذات العماد التي ذكرها الله عزّ وجلّ، في كتابه، بناها شداد بن عاد ... ولا سبيل إلى دخولها، ولا يدخلها إلاّ رجل واحد صفتُه كذا. ووصف صفة عبد الله بن قِلابة؛ فقال معاوية: يا عبد الله ! أما أنتَ فقد أحسنتَ في نُصحنا، ولكن ما لا سبيل إليه، لا حيلة فيه. وأمر له بجائزة فانصرف>>. (15)

ولا يزال بعض الناس إلى يومنا هذا يعتقدون بأنّ مدينة إرم موجودة في مكان ما مختفية تحت الرمال في الجنوب الشرقي من جزيرة العرب، في الصحراء المسماة الربع الخالي، وبعضهم يعتقد بأنها في اليمن. وآخرون يظنون بأنها دمشق أو مكانا قريبا من دمشق ..

والمهم أنّ هذه المدينة العجيبة اختفت في الصحراء، فهي في مكان محجوب، عامرة بقصورها السحرية وكنوزها المباحة .. وقد طلبها كثيرون فهلكوا أو ضلّوا وعادوا قانعين من الغنيمة بالإيّاب ..

وقد تحولت كلمة << إرم >> إلى رمز يستعمل للدلالة على الوصول إلى الحقيقة أو إلى الصدق وإلى العالم المجهول الذي ينضح بالحقائق والأنوار. << كما تعني الكلمة أيضا تعبيرا صوفيا يمثل الاتحاد مع الله. وكثيرا ما استخدمه الصوفيون بأسلوبي الشعر والنثر ليصفوا مفهومهم لطريق الصوفيين ووسيلة الوصول إلى الصدق أو المثال>>. (16)

ـ << إرم ذات العماد >>* لجبران خليل جبران (1883 - 1931):

رواية جبران المسرحية بطلتها "آمنة العلوية"، وهي امرأة صوفية زاهدة. توفى والدها أثناء مرافقتها له في رحلة الحج إلى مكة، فدفنته وأقامت بجوار قبره سبع ليال، تتحدث إلى روحه وتسألها المعرفة عن العالم الآخر. وفي الليلة السابعة أوحي إليها أن ترحل إلى الجنوب الشرقي، فرحلت إلى أن وصلت الربع الخالي حيث ضلّت طريقها في الصحراء. واعتقد الناس أنّها قد ماتت. وبعد خمس سنوات، ظهرت أمينة في مدينة الموصل، وهي تتحدث إلى العلماء عن بعض الأمور السماوية، ووصفت لهم مناظر " إرم ذات العماد " . غير أنّ هذه المرأة العالمة والعارفة تصطدم بمواقف مجحفة في حقها من طرف الشيوخ والفقهاء بعد أن كانت قد استقبلت في البداية بحماس، ويبدو أنهم بعد ذلك ونتيجة لآرئها وما تحدث به من أفكار وعوالم، راحوا << يحسدونها على نجاحها ويأخذون عليها خروجها سافرة >>. (17) عند ذاك راحت أمينة تتجول من مكان إلى آخر. ووصلت إلى نهر العاصي وأطلق عليها هناك لقب "جنية الوادي". وتواصل رحلتها محدثة عن الحق والعدل والروح والجسد وعن مدينة إرم " مدينة الله " التي دخلتها بالروح والجسد .. وأمينة العلوية تشبه كثيرا " رابعة العدوية " وهي صوت جبران المعبر عن آرائه الصوفية، وهي الإنسان الوحيد ـ في نظره ـ الذي

استطاع دخول مدينة" إرم" المحجوبة ..

ويقدم جبران لهذه القصة المسرحية بتحديد المكان والزمان وأشخاص المسرحية.

أمّا المكان: فهو غابة من الجوز والحور والرمان تحيط بمنزل قديم منفرد بين منبع العاصي وقرية الهرمل في الشمال الشرقي من لبنان. وهو المكان الذي استقرت فيه آمنة العلوية بعد تجوالها وتنقلاتها.

الزمان: عصارى يوم من أيام تموز من سنة 1893 ..(والذي نلاحظه هنا هو تطابق هذه السنة مع السنة التي ولد فيها جبران، فلم يكن اختيارها اختيارا اعتباطيا).

أشخاص الرواية المسرحية هم:

- زين العابدين النهاوندي، وهو درويش عجمي في الأربعين من عمره، معروف بالصوفي.
- نجيب رحمة: أديب لبناني في الثالثة والثلاثين من عمره.
- آمنة العلوية: معروفة في تلك النواحي بجنية الوادي، ولا أحد يعرف عمرها.. (18)

ونعلم أثناء الحوار الذي يقوم عليه هذا العمل المسرحي أنّ الدرويش العجمي (زين العابدين) ولد في نهاوند، ونشأ في شيراز، وتثقف في نيسابور، وجاب مشارق الأرض ومغاربها، ولكنه يردد دوما بأنه إنسان (غريب في كلّ مكان)؛ وهذا التعبير يمثل <<الصيغة العزيزة على قلب جبران والتي اخترعها من أجله >> (19) كما أنّ هذا يجعلنا نميل إلى الاعتقاد بأنّ هذه الشخصية تمثل سمات أرادها جبران لنفسه غير أنّ هذا الدرويش العارف، هو تحديدا مسلم شيعي يقوم بمهمة اطلاع كلّ من يريد معرفة أشياء أو أخبارا عن آمنة العلوية. أمّا نجيب رحمة فهو شخصية رئيسية في المسرحية وبفضله تُثار القضايا المعرفية والدينية، وتطرح الأسئلة الحرجة. وهو الذي يخرج في طلب الجلوس بحضرة آمنة العلوية ليعرف بعض الحقائق السماوية وحقائق عن إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد. وقد سمع كما سمع غيره بأنّ هذه المرأة المتصوفة قد عادت من رحلتها الطويلة في الربع الخالي محملة بالأسرار والحقائق والمعرفة واستقرت في ذلك المكان المحاط بغابة صغيرة من أشجار اللوز والجوز والرمان. وأول من يلتقي به عند الغابة المذكورة هو زين العابدين الذي يسلم عليه ويسأله عما إذا كانت آمنة العلوية تسكن المكان. ويخبره الرجل الصوفي بأنها في كل مكان وأنّ جسدها فقط يسكن هناك، وهو منزل من منازلها.

وبعد حوار طويل بينهما، وبعد تبادل الأسئلة والأجوبة يقتنع الرجل الصوفي (زين العابدين) بأنّ نجيب رحمة وهو الرجل المسيحي، على شيء من العلم والحكمة، الأمر الذي جعله يستفيض معه في الحديث عن آمنة العلوية إذ يقول له: << أعجبتني، أعجبتني. يلوح لي أنّك على شيء من العلم. إذا فاسمع . لا أعرف شيئا عن والدة آمنة العلوية سوى أنّها ماتت وهي تتمخض بابنتها. أمّا والدها الشيخ عبد الغنيّ الضرير المشهور بالعلوي فقد كان إمام زمانه في العلوم الباطنيّة والتّصوّف. وقد كان، رحمه الله، ولوعا بابنته إلى درجة قصوى فهذبها وثقّفها وسكب في روحها كلّ ما في روحه، ولماّ بلغت أشدّها أدرك أنّ العلوم التي أخذتها عنه لم تكن من العلم الذي أنزل

عليها إلاّ بمقام الزبد من البحر فصار يقول عنها: لقد انبثق من ظلمتي نور أستضيء به. ولمّا بلغت الخامسة والعشرين خرج بها لأداء فريضة الحجّ. ولمّا قطعا بادية الشام وأصبحا على بعد ثلاث مراحل من المدينة المنوّرة بلي الضرير بالحمى وتوفّي. فدفنته ابنته في لحف جبل هناك وجلست على قبره سبع ليال تناجي روحه وتستكشفها أسرار الغيب وتستعلم منها عمّا وراء الحجاب. وفي الليلة السابعة أوحت إليها روح والدها أن تطلق راحلتها وتحمل زادها على عاتقها وتسير من ذلك المكان إلى الجنوب الشرقي، ففعلت (يسكت دقيقة ويحدق إلى الأفق البعيد ثم يعود إلى الكلام) وظلت آمنة العلوية سائرة في البادية حتى وصلت إلى << الربع الخالي>> وهو قلب الجزيرة الذي لم تخترقه قافلة ولم يصل إليه سوى أفراد قليلون منذ بدء الإسلام إلى يومنا هذا . أمّا الحجّاج فظنّوا أنّها تاهت في تلك القفار وقضت جوعا . ولمّا عادوا إلى دمشق أخبروا الناس بذلك فحزن عليها وعلى أبيها من عرف فضلهما ثمّ التحف ذكرهما النسيان كأنّهما ما كانا....وبعد خمسة أعوام ظهرت آمنة العلويّة في الموصل. وكان ظهورها بما هي عليه من الجمال والهيبة والعلم والصلاح أشبه شيء بهبوط نيزك من الفضاء. فقد كانت تسير بين الناس مسفرة وتقف بحلقات العلماء والأئمة متكلّمة عن الأمور الربّانية، وتصف لهم مشاهد إرم ذات العماد بفصاحة ما سمع القوم بمثلها. ولمّا اشتهر أمرها وكثر عدد أتباعها ومريديها خاف علماء المدينة ظهور بدعة وخشوا الفتنة فشكوها إلى الوالي فاستقدمها هذا إليه وألقى بين يديها صرّة من الذهب وطلب إليها أن تغادر المدينة، فرفضت المال وتركت المدينة ليلا دون أن يصحبَها أحدٌ من الناس. ثم توجهت إلى الآستانة، فحلب، فدمشق، فحمص، فطرابلس. وكانت في كلّ مدينة من هذه المدن تثير ما سكن في نفوس الناس وتشعل ما خمد في وجدانهم فيلتفون حولها ويصغون إلى محاضراتها وأحاديث اختباراتها العجيبة مجذوبين بعوامل قويّة سحريّة. غير أن أئمة الدين وشيوخ العلم في كلّ بلد كانوا يصادرونها ويفندون أقوالها ويعرضون بها إلى الحكام. بعد ذلك طلبت نفسُها العزلةَ فجاءت هذا المكان مند أعوام واستوحدت به زاهدة متعبّدة منصرفة عن كلّ شيء سوى التعمّق في الأسرار الربّانية. هذا قليل من كثير أعرفه عن حياة آمنة العلويّة. أمّا ما حباني الله بمعرفته عن ذاتها المعنوية وما يتآلف في نفسها من القوى والمواهب فليس بإمكاني الكلام عنه الآن. ومَنْ مِنْ البشر يا ترى يستطيع أن يجمع الأثير المحيط بهذا العالم في كؤوس وأكواب؟ >>. (20)

وبعد قليل يلتفت الرجل الصوفي إلى الجهة الشرقية فيومئ إلى نجيب بأن ينتبه، فإذا هي آمنة العلوية تقف أمام الرجلين و<<هي بهيئتها وحركاتها وملابسها أقرب إلى معبودات الشعوب الغابرة منها إلى امرأة شرقية في الزمن الحاضر. ومن الصعب تحديد عمرها بمجرّد النظر إلى ملامحها، فكأنّ الشباب في وجهها يستر ألف سنة من المعرفة والاختبار. وتبادر آمنة العلوية بالحديث إلى الضيف اللبناني كما تصفه وتقول له:<< جئتَ تسألُنا عن دخولنا إرم ذات العماد؟>> فيجيبها نجيب << نعم يا سيدتي، منذ حداثتي وهذه الكلمات الثلاث " إرم ذات العماد " تعانق أحلامي

وتتمشى مع خيالي بما وراءها من الرموز والمقاصد الخفية >> (21) وبعد أن ترفع العلوية رأسها وتغمض عينيها تقول:<< أجل قد بلغنا المدينة المحجوبة ودخلناها وأقمنا فيها وملأنا روحنا من أريجها وقلبنا من أسرارها وجيوبنا من لؤلؤها وياقوتها، فمن ينكر علينا ما شاهدناه وعرفناه كان ناكرًا لذاته أمام الله >>. (22)

وعندما يسألها نجيب كيف كان دخولها مدينة إرم وهل دخلتها بالجسد أم بالروح ؟ وما هي طبيعة هذه المدينة المحجوبة؟ وهل هي مصنوعة من عناصر الأرض المتبلورة، وهل هي قائمة في بقعة معلومة من الأرض؟ أم أنها عبارة عن مدينة روحية ترافق حالة روحية ووجدانية وإيمانية يبلغها أنبياء الله في حالات الوجد والصفاء والغيبوبة، مما يجعلها تعبر عن عبور واستشراف ورؤيا ؟! وحين ذاك تجيبه آمنة، العلوية في هدوء المطمئن العارف والمملوء قلبه بالحقائق والحكمة والمعرفة فتقول : << ليس ما نراه على الأرض وما لا نراه سوى حالات روحية، وأنا قد دخلت المدينةَ المحجوبةَ بجسدي وهو روحي الظاهرة ودخلتها بروحي وهي جسدي الخفي ومن يحاول التفريق بين ذرات الجسد كان في ضلال مبين. إنما الزهرةَ وعطرَها شيءٌ واحد...>> (23) ولم يشف هذا الجواب تلهف نجيب إلى المعرفة والوقوف على حقيقة إرم فيردف سائلاً عما إذا كانت المدينةُ المحجوبةُ مجرد حالة روحية ؟ فتجيبه العلوية على الفور قائلة :<< كلّ مكان وزمان حالة روحية ....>> وتعود مرة أخرى لتقول في نفس السياق :<< أجل قد قطعنا الصحارى و قاسينا الجوع والعطش وخبرنا مخاوف النهار ورمضاءه وأهوال الليل وسكينته قبل أن رأينا أسوار مدينة الله. ولكن قد بلغ مدينة الله قبلنا من لم يَسِرْ خطوةً، وعرف جمالها وبهاءَها من لمْ يَخْتَبِرْ جوعًا في الجسدِ أو عطشًا في الروحِ. إيْ والحقّ لقد طاف في المدينة المقدّسة إخوانٌ لنا وأخواتٌ دون أن يخرجوا من المنازل التي ولدوا فيها ... >> (24)

وهكذا يتتابع الحوار في شكل أسئلة من نجيب وأجوبة من آمنة العلوية. وهو سؤال وجواب وحوار متواصل فيه الحكمة والمعرفة والأسرار والحقائق التي تنطق بها العلوية، مجيبة على أسئلة نجيب التي هي في الحقيقة أسئلة البشر جميعا، على اختلاف ألوانهم، وأديانهم، ومعتقداتهم، وعصورهم، ومراتبهم ونزعات نفوسهم. سؤال المعرفة واليقين، هذا السؤال الذي يظلّ ملحا على كلّ من يتطلع إلى النور الأبدي والحكمة الإلهية. وتتمادى أسئلة نجيب في محاولة الوصول إلى إجابات شافية إلى أن يصل إلى المرحلة الأخيرة من هذا اللقاء الذي جمعه بآمنة العلوية رفقة زين العابدين الرجل الصوفي .. وهنا ينتصب واقفا ويسألها ماذا سيقول للناس: << أأقول للناس يا سيدتي عندما أعود إليهم إنّ إرم ذات العماد مدينة أحلام روحية وإنّ آمنة العلوية قد سارت إليها على سبيل الشوق ودخلتها من باب الإيمان ؟ >>(25) فتجيبه آمنة قائلة : << قل إنّ إرم ذات العماد مدينة حقيقيّة كائنة بكيان الجبال والغابات والبحار والصحاري. وقل إنّ آمنة العلويّة قد وصلت إليها بعد أن قطعت البادّية الخالية وقاست ألم الجوع وحرقة العطش وكآبة الوحدة وهول الانفراد. وقل إنّ جبابرة الدهور قد بنوا إرم ذات العماد ممّا تبلور وتجوهر من عناصر الوجود، ولم يحجبوها عن الناس ولكن الناس حجبوا

نفوسهم عنها، فمن يضلّ الوصول إليها فليشك دليله وحاديهُ بدلاً من مصاعب الطريق وحراجتها. وقل للناس إنّ من لا يشعل سراجه لا يرى في الظلام سوى الظلام >>. (26)

وتكون نهاية اللقاء بآمنة العلوية بأن يدنو منها نجيب منحنيَ الرأس ثمّ يقبّل يدها ويطلب منها السماح له أن يعود إلى مساكن الناس، فتجيب طلبه وتتمنى له السلامة في عودته وتقول له << سر في النور وسر بأمان الله>> ويردف نجيب قائلا ومستجيبا :<< سأسير في نور المشعل الذي وضعته في يدي يا سيدتي >> (27)، وبعد أن تنظر إليه نظرة طويلة مفعمة بالأمومة، تتحول عنه وتمشي بين الأشجار إلى أن تختفي عن عينيه .. وعندها يقترب منه زين العابدين ويسأله عن الوجهة التي يقصدها، فيجيبه نجيب بأنّه يقصد منزلا لأصحاب له بقرب منبع العاصي، فيطلب منه السماح له بمرافقته. وعندها يستغرب نجيب لماذا يترك هذا الرجل مكانه بقرب آمنة وهو الذي كان يتمنى لو كان مكانه. ولكن الرجل المتصوف يخبره بأنّه يأتي مرة واحدة فقط في الأسبوع متبرّكا متزوّدا، وعندما يأتي المساء يعود من حيث أتى قانعا بما حصّله من معارف وحقائق وممتلئا بأحاديث ونسمات الروح ممّا تحدث به آمنة العلوية .. فيعلّق نجيب على ذلك قائلاً: << وددت لو جاء الناس كافة مرّة في الأسبوع ليتبرّكوا ويتزوّدوا ويعودوا قانعين مطمئنّين>>. (28) ثمّ يغادران المكان معًا باتجاه منبع نهر العاصي ..

وبالعودة إلى استخدام جبران لـ (إرم) نجد هذا التوظيف الرمزي لهذه المدينة المحجوبة قد تحوّل إلى رحلة روحية، رحلة شاقة ومتعبة كما هي رحلة الصوفية في طلب المعرفة والحقائق النورانية وأسرار الحكمة والمعرفة الربانية تماما كما يفعل الصوفية الكبار .. إنها رحلة شاقة وانقطاع عن عالم الناس وولوج في عالم الغيب والملكوت .. ومن يصل إلى إرم لا شكّ أنّه سيعود ممتلئا ومحمّلا بالحكمة والمعرفة كما عادت آمنة العلوية التي تذكرنا بالمتصوفة المشهورة رابعة العدوية (*) التي اعتادت << أن تبشر بنفس المثل، والتي عرفت مراحل رحلتها على الطريق لدى كلّ المتصوّفين والمهتمين بالفلسفة الإسلامية والفلسفة المسيحية>>. (29)

وكما هو واضح في هذا العمل لجبران خليل جبران أنه من نسج خياله وحصيلة بعض قراءاته في هذا المجال. فقد كان مهووسا بهذا الاتجاه في الفكر والفن والعقيدة .. سيّما وهو صاحب الكتب الحاملة لروح المحبة والتأمل والنبوءة؛ وهذه الروح النبوية وهذه الرسالة الروحية المثالية نجدها تسري في معظم كتابات جبران خصوصا في (المجنون، والسابق، والمواكب، والتائه، ويسوع بن الإنسان، وآلهة الأرض، وحديقة النبي)، وقد بلغت مداها في كتاب (النبي) << الذي حمل خلاصة رسالة جبران الروحية المثالية إلى البشر الغارقين في مادية العصر الحاضر الطاغية على كلّ ما هو روحي خالد فيهم>>. (30)

والمؤكد أيضا في "إرم ذات العماد" أنّ جبران قد اختار اسم آمنة العلوية اختيارا استند فيه على معاني هاتين اللفظتين ودلالاتهما؛ فآمنة تعني الهادئة المطمئنة والواثقة

من نفسها، والعلوية تعني السماوية، الرائعة. وهذه المعاني تناسب الرسالة التي حمّلها جبران لآمنة في المسرحية وهي رسالة علوية سماوية في معانيها وقيمها الروحية وفي التجربة الصوفية ذاتها التي أرادها جبران أن تتفتح عن المعرفة والحكمة والأسرار النورانية.. كما ترمز مدينة إرم المحجوبة الخرافية الأسطورية إلى رتبة المعرفة الصوفية؛ هذه الرتبة التي لا يدركها إلا القلائل المختارون من العباد. فدلّ الوصول إلى إرم بذلك على الوصول إلى المعرفة والحكمة الإلهية. ولما كانت آمنة العلوية قد دخلت إرم وعادت محملة بالأسرار والحكمة المقدسة، فقد اختارت بعد أن جالت وأكثرت من الحل والترحال، ملجأ لها وهو غابة مثمرة أشجارها في منطقة جميلة بالقرب من الهرمل . ولا شك أنّ اختيار جبران لهذا المكان له دلالاته الخاصة لديه خصوصا هذه المنطقة، وفي هذا يقول أحد الباحثين:<< وكان جبران قد زارها أكثر من مرة في صباه. وتقع هذه المنطقة على الجانب الشرقي من جبل الأرز، بينما تقوم بشرى على الجانب الآخر وهي تبعث على التفكير والتأمل الطويل ..>>(31)

ولا ننسى في هذا السياق أنّ جبران قد تاقت نفسه إلى العالم المحجوب وهو العالم السماوي الذي يسوده العدل والنور، عالم السماء، وقد سمى عالمه الخاص هذا (البلاد المحجوبة). وكتب قصيدة بهذا العنوان يناجي فيها روحه، طالبا منها أن ترافقه ليتركا عالم الناس ومساكنهم ؛ هذا العالم المادي الذي ليس فيه صديق. وهو يعتبر نفسه نباتا فريدا لا يشبه غيره، ويختلف في أزهاره عن كلّ الورود والشقائق. وقلبه شاب معطر بالنور لا يستطيع أن يمتزج بقلوب الناس المتعبة القديمة. لذلك، يطلب الرحيل من عالم القسوة والخيبة والمآسي إلى عالم المسرات والأمل وأسرار الملكوت والمعرفة واليقين. ولا بأس أن نثبت هذه القصيدة الرائعة لجبران في أخر حديثنا عنه، لأنها توافق السياق الذي نحن بصدده وتنسجم مع موضوعه. وهي كما أسلفنا بعنوان << البلاد المحجوبة>>:

هو َذا الفَجرُ فقُومي نَنصرِفْ عَن دِيارٍ ما لنَا فيها صَديقْ
ما عسَى يَرْجو نَباتٌ يختَلَف زهرُه عن كلّ وردٍ وشقيقْ
وجَديدُ القلب أنّـــى يأتلـف مع قلوبٍ كلّ ما فيها عتيقْ
هو ذا الصّبحُ يُنادي فاسْمَعي وهلمّي نَقتَـفي خطواتــه
قد كَفانا من مساء يَدّعـــي أنّ نـورَ الصّبحِ من آيــاتـه
قد أقَمنا العمرَ في وادٍ تَسير بَينَ ضلعَيهِ خيالاتُ الهُموم
وشهِدْنا اليأس أسراباً تَطيرُ فوْقَ مَتنَيه كعقبـــانٍ وبومْ
وشربنا السّقمَ من ماء الغَدير وأكَلنا السّمّ من فجّ الكـُروم
ولبسنا الصّبرَ ثَوْباً فالتَهَب فغَدونـــا نَتَرَدّى بالرّمـــادْ
وافترَشْناه وسادًا فانقَلَبْ عندما نِمْنَا هَشيماً وقَتَـــادْ

* * * *

يا بلاداً حُجبَتْ مُنذ الأزَلْ كيفَ نرْجوكِ ومن أيّ سَبيل ؟

أيّ قفرٍ دونـــــها أيّ جبَل سورُها العالي ومَنْ منّا الدّليلْ
أسَرابٌ أنتَ أمْ أنتَ الأملْ في نفوسٍ تتمنّى المُستَحيلْ ؟
أمَنامٌ يتَهادى في القُلـــوب فإذا ما أستَيقَظَتْ ولّى المَنامْ
أم غيومٌ طفنَ في شمسِ الغُروب قبل أن يغرَقنَ في بحرِ الظّلامْ ؟

* * * *

يا بلاد الفكر يا مهدَ الأولى عبَدوا الحقَّ وصَلّوا للجمالْ
مـــا طلَبناك برَكْبٍ أوْ على متنِ سفنٍ أو خيلٍ ورِحالْ
لستِ في الشّرقِ ولا الغرْبِ ولا في جنوبِ الأرضِ أو نحوِ الشّمالْ
لست في الجوّ ولا تحتَ البحار لست في السّهل ولا الوعرِ الحرج
أنت في الأرْواحِ أنوارٌ ونـــار أنتَ في صدري فُؤادي يختَلجْ (32)

- <<على طريق إرم>> لنسيب عريضة (1887-1946م):

أمّا القصيدة المطولة لنسيب عريضة التي تحمل عنوان " على طريق إرم " ، فهي قصيدة طويلة تتألف من مائتين وستة وثلاثين بيتا، مقسمة إلى ست مقطوعات جعل الشاعر لكلّ منها عنوانا يعكس المرحلة التي يمر بها في رحلته إلى عالم المجهول في رحلته الروحية .

ومن خلال قراءتنا لملحمة نسيب "على طريق إرم" نجد أنه يمر وقافلته في رحلته بمراحل متتالية، بحثا عن الحق أو المجهول، ويصف الطريق إلى إرم مرحلة بعد مرحلة. وهي المراحل التي مر بها الشاعر في حيرته، كما تعكس المعاناة التي قاساها الشاعر من أجل أن يصل إلى المثال والمعرفة والسعادة الروحية.

وقد عكس نسيب عريضة في شعره ومن خلال ديوانه << الأرواح الحائرة >> شعوره وشعور إخوانه في الرابطة القلمية وفي المهجر الأمريكي عموما، بالقلق وبغربتين متلازمتين؛ غربتهم عن الوطن المادي، وغربتهم عن الوطن الروحي. وبالنسبة لنسيب فإنّ << الغربة الثانية كانت الأقسى على قلبه. فلا عجب أن تسمع للأسى في شعره أنغاما شجيّة، وأن تبصر فيه كلّ ألوان الحيرة والوحدة والوحشة. ثمّ لا عجب أن يطرح الشاعر على كلّ ذلك وشاحا لطيفا من الصوفية العميقة الصافية كالتي تطالعنا في منظومته البديعة: "على طريق إرم" >> (33) هذه المطولة التي تقوم على فكرة السفر والرحلة إلى إرم - إرم السعادة والخلاص واليقين؛ ففكرة السفر على مستوى التجارب الشعرية والأدبية هي على الأكثر << هروب من الواقع وغربته، ومحاولة لإنقاذ الذات من أزماتها. والسفر بمعظم وجوهه خيالي يسعى فيه الشاعر إلى تخطي الواقع إمّا رجوعا إلى الماضي وذكرياته، أو سعيا إلى بلوغ عالم السعادة واليقين>>. (34)

وقد اتخذ نسيب عريضة عنوان قصيدته المطولة " على طريق إرم " ليشير به إلى رحلته الروحية - الصوفية باتجاه إرم التي تمثل بالنسبة إليه مدينة روحية غير منظورة << يبحث عنها جاهدا حتى يخيّل إليه أخيرًا أنه لمح نارها من بعيد ... ولكنه لم

يصل إليها. وإرمه هذه هي المعرفة التي قضى عمره يبحث عنها>>. (35)

كما تمثل قصيدته المطولة "على طريق إرم" خريطة متكاملة للمراحل التي مر بها الشاعر في طريق رحلته وحيرته بحثا عن المعرفة وأسرار الكون والحياة والموت، والسفر باتجاه النور الخالد الذي قد يكون بعيدا وفي آخر الطريق ولا سبيل إليه إلا بالعبور من حياة إلى حياة عبر برزخ الحياة والموت والحياة أو قل الموت والحياة!. كما تدل هذه القصيدة الطويلة على الجهاد النفسي العنيف في سلم التجربة الروحية وجهاد النفس وتطهيرها لأجل البلوغ إلى الكمال والمعرفة والسعادة الروحية. << لقد سمع نسيب النداء، نداء روحه الصاعد من الأعماق، وسار نحو الضوء البعيد، وقد ظلّ طرفه عالقا به حتى عاد إلى تراب ودود. وهذا الضوء البعيد الذي اهتدت إليه بصيرة الشاعر بعد جهاد نفسي طويل، هو الوحدانية المطلقة في جوهر الحياة، تلك الوحدانية التي اطمأنت إليها نفسه، كما اطمأنّت إليها أيضا نفوس بعض زملائه من الرابطيين ولا سيما جبران، ونعيمة >>. (36)

وقد قسم نسيب قصيدته المطولة إلى ستّ مقطوعات جعل لكلّ مقطوعة عنوانا يدلّ على طبيعة المرحلة التي يمر بها الشاعر وقافلته المزعومة في تلك الرحلة الطويلة. وتتكون المقطوعة الأولى من أربعة وأربعين بيتًا وهي بعنوان << أول الطريق >> ويشير في بدايتها إلى استعداده لبدء رحلته الخيالية الروحية، وحلمه وكذا رغبته الملحة في السفر البعيد، إلى عالم آخر يسوده الجمال وهو لذلك يخاطب شخصا يسميه رفيق روحه وسمير نفسه، ليطير معه خارج حدود هذا العالم (عالم الحدود) إلى عالم بلا حدود. عالم السماء . يقول في هذه المقطوعة :

تفتَّحَتْ أعينُ الدَرَارِي واسْتَيْقَظَتْ أَنْفُسُ اللَّيالي
وَهَيْمَنَتْ في الدُجَى الأَمَانِي ورَفْرَفَتْ أَجْنُحُ الخيالِ
وَأَقْلَتَ الحُلْمُ من عِقالٍ فَطَارَ يَسْعَى إلى الجَمالِ
فَقُمْ بِنَا ، يا سَمِيرَ نَفْسِي نَقْفُو الأَمَانِي إلى الكَمَالِ (37)

وفيها يقول أيضا ملمّحا إلى أنّ عالم السماء هو عالم الروح؛ عالم روحه التي هبطت من عالم الجمال والخلد إلى عالم الفناء و القيود :

أَحِنُّ شوقًا إلى دِيارٍ رأَيْتُ فِيهَا سَنَى الجَمالِ
أُهْبِطْتُ مِنْهَا إلى قَرَارٍ أَمْسَتْ بِهِ الرُوحُ في اعْتِقالْ (38)

وتحمل المقطوعة الثانية عنوان << القلوب على الدروب>> وهي مؤلفة من ثلاثين بيتًا وفيها حديث عن القافلة وقد قطعت شوطا في الصحراء فارهقها السير وأتعبها طول الطريق في الفلاة كما هو طريقها الشاق في الحياة. ويطلب نسيب من الحداة (حداة القلوب) أن يرأفوا بها ويتركها تستريح قليلا، خصوصا وقد عسعس الليل وخيم الظلام :

خيّم الليل فوق ركبٍ أَثْقَلَتْهُمْ رحَالُ حُبٍّ
ليسَ يَدرونَ أيَّ ركبٍ يَنْتَهِي باللِقا، وقَلْبِي

في مطـايَا الركَوبْ
كـادَ شَوقاً يذوبْ (39)

وبرغم المتاعب والأهوال والرياح والأتربة التي تثيرها الرياح العاتية في الصحراء وفي الطريق الجنوبي، فإنّ الشاعر يشجع القلوب ويقوّي من إرادة القافلة أملا بالوصول إلى الطريق الصحيح، والاهتداء إلى الطريق المستقيم وجادة الصواب. فيختم هذا النشيد بهدهدة فيها نشيد ودفع إلى الأمام يغنّها الشاعر في مسامع ظعن القلوب السائرة معه في رحلته الشاقة ..

أما المقطوعة الثالثة فتحمل عنوان << الطلل الأخير>> وهي أقصر المقطوعات في هذه القصيدة المطولة، تتكون من ثمانية أبيات فقط. وفيها يناجي نسيب الطلل الذي وصلت إليه القافلة فانتصب أمامها كم يعرف سر هذه القافلة وسر من ساروا قبلها ورحلوا. ومن هذه المقطوعة قوله: مخاطبا ومناجيا الطلل:

نظرتَ إليَّ تسأَلنِي بِطَرْفٍ ملؤُهُ الأملُ
وعهْدِي الركبُ يسأَلُ إنْ أتَاكَ عنْ الأُلى رحلوا (40)

هنيئًا ! أنتَ تعرفُهُمْ وتذكُرُ أَنَّهُمْ نَزَلُوا
ولَكنِّي حلمتُ بِهِمْ وَأَتْبَعُهُمْ فَلا أَصِلُ

وفي هذه المقطوعة نجوى وفيها لهفة وحنين. كما يستحضر نسيب رمزا صوفيا إذ يتحدث عن المحبين الذين مروا قبله على الطريق ويذكر الطللُ نزولهم عنده.

ثمّ تأتي المقطوعة الرابعة أو النشيد الرابع، وهو بعنوان << القفر الأعظم>>. وتظلّ القافلة تسير ثم يلتفت الشاعر إلى نفسه، يناجيها في هذا المكان المقفر والموحش :

سيري ولو كنتِ ، نفسي ! على ضَلالٍ مبيـن
فأَيّ فضلٍ لركبٍ على الطريقِ الأمين؟!

وبعدها يأتي النشيد الخامس الذي يكوّن المقطوعة الخامسة حسب تقسيم الشاعر وهي بعنوان << القيروان>> وتنقسم هذه المقطوعة بدورها إلى ستّ مراحل. في كلّ مرحلة يلتقي الشاعر وجماعته بمحنٍ مختلفة ويمرون بتجارب قاسية، يكابدونها امتحانا لصبرهم وإيمانهم وإرادتهم ورغبتهم في الوصول إلى أسرار إرم وأسرار الكون والمعرفة والخلود.. إنّ المراحل التي تكوّن المقطوعة الخامسة، هي عبارة عن أناشيد وأغنيات جميلة وذات دلالات بعيدة. وفيها يقدم لنا الشاعر أسماء رفاقه في هذه الرحلة في قالب غنائي رائع فيقول :

قد كان في الرَكْبِ قلبي ومُهْجَتي وهَوَايـــا
والعقلُ حَامي السرايا والشوقُ زَاجي المَطايَـــا

وفي الهَوْدَجِ حُلْمِي ورَغْبَتِي والطوايـــا
بناتُ صدري وشِعْرِي والخَطَايـا الذكريـاتُ
وسَاحراتُ الأمَـانـي وعائلاتُ الخطَـايـا

ويدرك الشاعر بأنّ لا القلب يمكن أن يقود إلى أسرار الخلود والعالم السماوي ولا العقل ومنطقه الجاف، وإنما هو الانتقال من حياة إلى حياة؛ عبر برزخ يسميه الشاعر درب اللحود. فليس في هذا العالم عدل وعلم وحقائق إنها في العالم البعيد القريب الذي لا يمكن الوصول إليه إلا عبر تجردنا من عالم القيود .. و لذلك فهو في المقطوعة السادسة والخيرة يلمح ضوءا بعيدا لعلّه نور ونار إرم كما فقد وضع الشارع عنوان << نار إرم >> للنشيد أو المقطوعة الأخيرة. وفيها يلمح ذاك الضوء البعيد دون أن يصله. وهو يخاطبه قائلا في ختام المطولة:

تلك نَارُ العلَم أُوقدتْ في "إرَمْ"
قبلَ عَهْدِ القِدَمْ ما لَهَا منْ خُمُوْدْ
أو تَزُولَ العُهُوْدْ
إيه ضُـوئي البعيـدْ! لحْ و لحْ مـا تريدْ!
ليس طرفِـي يحيـدْ عنك حتى يعـودْ
لترابٍ و دوْدْ
لحْ و لحْ في الفضَـاء قد سمعتُ النِّـداء
ودليلي الرجـَاء فعسَاه يقـُود
ظـامئا للوروْدْ .(41)

إنّ هذه القصيدة التي تنفرد من بين قصائد ديوان نسيب عريضة بتصوير رحلة روحية بحثا عن الكمال والسعادة والمعرفة خلف حجب الحياة والوجود، هي في الوقت ذاته تشترك مع باقي قصائد ديوان نسيب << الأرواح الحائرة >> في ذلك الخيط الرفيع الذي ينتظمها جميعا والمتمثل في الروح الحائرة ـ روح نسيب التي كانت تتوق دوما إلى معرفة الأسرار فكان صاحبها يعاني الحيرة الشديدة والشكوك المتواصلة. ونحن ندرك هذا حتى من خلال عنوان ديوانه الذي يعكس تماما هذه الروح الحائرة المتشككة << الباحثة عن الكمال والمعرفة ... وعن السعادة الكبرى في الاتصال الروحي بمصدر الحياة والوجود. ولذلك نجد نسيبا دائم البحث مع نفسه وفي زوايا نفسه ليهتدي إلى خفايا الوجود الأعظم. ونفسه هي رفيقه ودليله ومؤنس وحشته؛ يناجيها كثيرا، ويستأنس إليها طويلا. وهو في شعره شديد الحرارة والصدق في التعبير عن هذا الجهاد النفسي العنيف الذي رافقه كلّ حياته...>>(42)

وفي الأخير ينبغي أن نشير إلى أنّ الرحلات الروحية قد اسْتُمِدتْ واسْتُلْهِمَتْ من الثقافة الإسلامية، وأنّ مصدرها ديني بالأساس. وقد عرف عن التجربة الصوفية والمقامات والأحوال والتدرج في المراتب والمعرفة، على أنها رحلة وحج إلى الله، في سبيل المعرفة والقرب والأنس واليقين ..وقد كانت أول رحلة روحية حقيقية من هذا النوع في الإسلام هي رحلة النبي (ص) والمعروفة بالمعراج إلى ملكوت السماء. وهي

مقرونة في العادة بالرحلة الليلية إلى بيت المقدس والمعروفة لدينا بالإسراء؛ " سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنّه هو السميع البصير. " (43) وهاتان الحادثتان؛ الإسراء والمعراج كانتا مصدرا لا ينضب بالنسبة لما جاء على لسان الشعراء والصوفية والكتاب على اختلاف مشاربهم ومعتقداتهم، << وقد اتخذت حادثة معراج الرسول (ص) كنموذج لوصف رحلة الروح إلى عرش الحاكم السماوي. وبالنسبة للصوفيين، هي رمز لصعود الروح من روابط الجسد وقيوده إلى أعالي المعرفة الصوفية>>. (44) وقريب من هذا ما فعله حبران خليل جبران في << إرم ذات العماد >>، ونسيب عريضة في << على طريق إرم>>. إرم التي تحولت إلى برزخ للعبور ومحطة للوصول في رحلة من عالم الشهادة إلى عالم الغيب..

الهوامش

1- جبران خليل جبران، البدائع والطرائف، المكتبة الأدبية، بيروت، لبنان (د.ت). ص99.
2- معجم ألفاظ القرآن الكريم، مجمع اللغة العربية والإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث جمهورية مصر العربية 1989. ج1. من الهمزة إلى الضاد.
3- ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت. ط2، 1995. مج1. ص 155.
4- أنظر المرجع نفسه، ص 155.
5- المرجع نفسه، ص 155.
6- جبران خليل جبران، البدائع والطرائف. ص 99.
7-المرجع نفسه، ص 100.
(*) هو عند أهل الأثر: هود بن خالد بن الخلود بن العاص بن عمليق بن عاد بن إرم بن سام بن نوح، عليه السلام. وفي رواية أخرى هو هود بن الخلود بن عاد بن إرم بن سام بن نوح، عليه السلام، وقيل في روايات أخرى غير ذلك.. (أنظر معجم البلدان لياقوت الحموي، مج1. ص 156.)
8- ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج1، ص 156.
9- المرجع نفسه، ص 156.
10- القرآن الكريم: سورة الفجر، الآية من 6 إلى .14
11- القرآن الكريم : سورة الحاقة، الآيات :(5-6-7)
12- أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن،ج 29 ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر، ط2 ،1968 ، ص.49
13- المصدر نفسه، ص.49
14- ياقوت الحموي، معجم البلدان.ج1، ص ص 156-.157
15- المرجع نفسه. ص 157.
16- نادرة جميل سراج، نسيب عريضة (الشاعر الكاتب الصحفي) دراسة مقارنة، دار المعارف ، القاهرة 1970 ، ص 94.
(*) نشرت << إرم ذات العماد >> لجبران خليل جبران ضمن كتابه "البدائع والطرائف" ، كما نشرت أيضا في الإصدار الأول لمجموعة الرابطة القلمية لسنة 1921 مع أعمال أخرى شعرية ونثرية لجبران ورفاقه في الرابطة القلمية. (أنظر مجموعة الرابطة القلمية لسنة1921،

دار صادر ودار بيروت 1964 م.
17- جان لوسيرف، النزعات الصوفية عند جبران خليل جبران، ترجمة: شعبان بركات، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا ـ بيروت، د ـ ت، ص .71
18- البدائع والطرائف، ص ص 100- .101
19- جان لوسيرف: المرجع السابق، ص71.
20- البدائع والطرائف، ص ص105- .107
21- المصدر نفسه، ص .112
22- المصدر نفسه، ص 112 .
23- المصدر نفسه، ص .113
24- المصدر نفسه، ص .115
25- المصدر نفسه، ص .125
26- المصدر نفسه، ص .125
27- المصدر نفسه، ص .125
28- المصدر نفسه، ص 126.
(*) أنظر كتاب عبد الرحمان بدوي : شهيدة العشق الإلهي رابعة العدوية، القاهرة .1940
29- نقلا عن نادرة جميل سراج: نسيب عريضة الشاعرالكاتب الصحفي، ص.95
30- عيسى الناعوري: أدب المهجر، دار المعارف بمصر، ط3، 1977، ص .346
31- جان لوسيرف: النزعات الصوفية عند جبران خليل جبران،ص.76
32- البدائع والطرائف: ص ص 124- 125.
(*) ترك نسيب عريضة من الآثار المطبوعة ديوانه << الأرواح الحائرة >>، ورواية مترجمة عنوانها " أسرار البلاط الروسي"، وله قصتان منشورتان في مجموعة الرابطة القلمية لعام 1921 وهما: " ديك الجن الحمصي" و " قصة الصمصامة".
33- مختارات من نسيب عريضة، سلسلة مناهل الأدب العربي، مكتبة صادر، بيروت ص 4.
34- جورج شكيب سعادة: الموضوعات الأساسية في شعر الرابطة القلمية، دار الحداثة للطباعة والنشر، بيروت لبنان 2002 ، ص .459
35- عيسى الناعوري: أدب المهجر، ص 304.
36- المرجع نفسه ، ص .395
37- مختارات من نسيب عريضة، سلسلة مناهل الأدب العربي، ص:.86
38- المرجع نفسه، ص 88.
39- نسيب عريضة: ديوان الأرواح الحائرة، نيويورك، 1946، ص .182
40- المصدر نفسه ،ص .185
41- مختارات من نسيب عريضة " نار إرم" ص ص 93-.94
42- عيسى الناعوري: المرجع السابق، ص 304.
43- القرآن الكريم: سورة الإسراء، الآية .01
44- نادرة جميل سراج: نسيب عريضة الشاعر الكاتب الصحفي، ص 106.